محور: علاقة الفرد بالثقافة

البروفيسور جابر نصر الدين

مخبر الدراسات النفسية و الاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية/ جامعة محمد خيضر بسكرة

n.djaber@univ-biskra.dz

العناصر :

تمهيد:

اولا- مفهوم الثقافة

1-تعريف الثقافة

2 -وظائف الثقافة

3-أنواع الثقافة

4-خصائص الثقافة

5- أقسام الثقافة

6-الثقافة و مفهومي الحضارة و المدنيّة

ثانيا : علاقة الثقافة بشخصية الفرد

1- أثر الثقافة على الشخصية

2- اثر الشخصية على الثقافة

3-مناقشة بعض عناصر الثقافة اللامادية

4-مصطلحات ثقافية

تمهيد:

مفهوم الثقافة من المفاهيم المحورية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية و في الحياة العامة لما لها من تأثيرات متعددة على حياة الأفراد و المجتمعات. فالثقافة هي تراكم إنساني و ميراث اجتماعي و خلاصة منجزات البشرية.

أولا- مفهوم الثقافة

1-تعريف الثقافة: من الصعب جدا تقديم تعريف شامل و مانع للثقافة و تكمن هذه الصعوبة في:

***حداثة الموضوع** : أي أن الثقافة بوصفها من مجالات التخصص المعرفي الإنساني لم تظهر في فضاءات العلماء و المختصين إلا في مطلع القرن العشرين .

***الاتساع** : فالثقافة متصلة بالإنسان بجوانبه المادية و اللامادية المتكاملة . و تظل الجوانب اللامادية مستعصية على التحديد و الضبط المنهجي البحثي مقارنة بالجوانب المادية القابلة للملاحظة و القياس.

***تداخل المفاهيم** : يلاحظ تداخل كبير في المفاهيم المرتبطة بالثقافة إلى درجة التناقض الناجم عن صعوبة تحديد معالم الموضوع بصفة دقيقة. و قد قام كل من كوبر و كلوكهن بحصر تعريفات الثقافة فوجدا أنها تصل إلى 164 تعريفا. (عبد العزيز السيد الشخصي.2001. ص 64). و ضع أخرها سنة 1982 من طرف اليونسكو.

التعريف اللغوي للثقافة:

أصل كلمة ثقافة culture مشتقة من الكلمة اللاتينية cultura و تعني الزراعة و الاستنبات. و تستخدم للتعبير عن زراعة الأفكار و القيم.

- بعض المعاني لمفهوم الثقافة في تراثنا اللغوي:

*المعنى الأول : وجود الشيء أو مصادفته.

*المعنى الثاني: الظفر بالشيء.

*المعنى الثالث: تقويم اعوجاج الشيء.

المعنى الرابع: سرعة حضور الشيء في الأذهان.

المعنى الخامس: الحذق و المهارة في إتقان الشيء.

المعنى السادس: الفهم و الذكاء.

- التعريف العلمي(الاصطلاحي) لمفهوم الثقافة :

تعددت التعريفات الاصطلاحية للثقافة، وربما رجع ذلك التعدد إلى اختلاف نظرة كل واحد إلى الثقافة تبعا لمجاله وتخصصه الفكري. و لكنها متقاربة في مدلولها.

من تعريفات الثقافة :

*حسب العديد من المراجع أن أول تعريف علمي للثقافة قدمه العالم الانثروبولوجي الانجليزي تايلور E. TAYLOR حيث عرفها بأنها ' ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و العادات، أو أي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع.(زكي حسام الدين.2001. ص 61)

* عرّف رالف لنتون R.Linton الأمريكي الثقافة هي التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب و نتائج السلوك التي يشترك جميع أفراد مجتمع معين في عناصره المكونة له و يتناقله أعضاء مجتمع معين (الشيخ محمد محمد عويضة.1996.ص 156) .

و في تعريفه للثقافة ميز لتتون بين الفرد و المجتمع و الثقافة بقوله:' المجتمع هو جماعة منتظمة من الأفراد بينما الثقافة طائفة منتظمة من استجابات مكتسبة يتميز بها مجتمع معين، أما الفرد فهو كائن حي قادر على التفكير و الفعل و الشعور بذاته و لكن استجاباته هذه تتشكل إلى حد بعيد في ضوء احتكاكه بالمجتمع و الثقافة.(السيد عبد المعطي السيد.2003.ص8).

*أما راد كليف براون Radkliff Brawn يرى أن الثقافة هي عملية التي يكتسب الفرد بواسطتها المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين. كما يكتسب الأعمال الفنية.

*و يري كوبر و كلوكهن بان الثقافة تتضمن من ناجية كل ما نتجه الإنسان من أدوات و أسلحة وملابس و مأوى و آلات و نظم اجتماعية ، و من ناحية أخرى ما هو غير مادي وهو ما يسمى الحضارة الفكرية ، مثل : اللغة ، الأدب، الفن، المعتقدات، طريفة إقامة الشعائر الدينية، الأخلاق، القانون، و نظم الحكم.(عبد العزيز السيد الشخصي. 2001. ص 65)

*و الانثروبولوجي الأمريكي وايت لسلي White Lesley برى بان الثقافة هي تنظيم لأنماط السلوك و الأفكار و المشاعر التي تعتمد على الرموز. فا لثقافة حسب رأيه هي القدرة الرمزية عند الإنسان.(محمد الذوادي.2005.ص 72).

*و يُعرِّف مالينوفسكي (Malinowski) الثقافة على أنّها وسيلة تحسّن من وضع الإنسان، حيث يستطيع مواكبة التغيُّرات الحاصلة في مجتمعه أو بيئته عند تلبية حاجاته الأساسية. وغيرها من الأمور التي يكتسبها الإنسان بوصفه أحد أفراد المجتمع.

* وقد قدم عالِم الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكي المشهور لِسْلي وايت Lesley White علم الثقافة culturologie بأنه "ذلك العلم الذي يسمح بفهم الظواهر الثقافية ومحاوله تعديلها وتوجيهها ووضعها في الإطار الصحيح و تحليلها و دراسة أنماطها و وظائفها و عملياتها و كذلك نموها و تدهورها.

*و عرفها الدكتور أحمد شلبي: . بالرقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقي في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة والرقي كذلك في الأخلاق أو السلوك.

فكل هذه التعريفات تدل على أن القاسم المشترك بينها كون الثقافة شيء مكتسب ولا يمت بصلة إلى المسائل الفطرية لدى الإنسان. فالثقافة تؤثر على السلوك الفردي والجماعي داخل المجتمع. فهي مجموع الأفكار والعادات التي يكتسبها أي مجتمع من المجتمعات، ويشترك فيها أفراد، وتنتقل من جيل إلى جيل.

2-وظائف الثقافة:

للثقافة جملة من الوظائف نذكر منها :

* تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات .
* توفير قاسم اجتماعي للعيش المشترك.
* تُعتبر الثقافة وسيلة للقضاء على الجهل والتخلّف .
*تعدّ الثقافة من أكثر العوامل تأثيراً في التنمية البشريّة الشاملة.
*دفع الأفراد في المجتمعات للإبداع والتميز و تجسيد أفكارهم .
*صقل شخصيّة الفرد وتطويعها.
* تساهم في تقويم ودعم الحياة الاجتماعيّة .
*زيادة مستوى الوعي الثقافي الفردي .
*تحفّز العنصر البشري على الإيجابيّة.
*المساهمة في نهضة المجتمع وتطوّره، فكلما زادت ثقافة مجتمع زاد رقيّه وتقدمه وحضارته .
*الثقافة هي إحدى المكونات للسلوك الإنساني القويم .
* تعد ثقافة شعب ما هي الميزة التي تجعل هذا الشعب مختلف عن غيره من الشعوب وتميزه بعاداته وقيمه ولغته ودينه.

3-أنواع الثقافة :

تقسيم الثقافة بشكل عام إلى نوعيين أساسين:

***الثقافة الماديّة :** وتشتمل على انجازات العمل والجهد البشري في مجتمع من المجتمعات، مثل العمران والمنشآت الصناعيّة و التكنولوجية وغيرها من الأشياء الملموسة المهمة لحياة الفرد .

الثقافة غير الماديّة: وتشتمل على الأفكار والاعتقادات و العادات و المعايير و القيم و الاتجاهات و اللغة و الدين و الطقوس و القيم التي يؤمن بها الإنسان، مثل مبادئ الخير والشرّ والصواب والخطأ ... .

4-خصائص الثقافة :

*انها إنسانية ، و هي من صنع الإنسان وحده.

* الثقافة تأتي لإشباع الحاجات الإنسانية .

* أنها متغيرة، و ذلك بشكل دائماً، و أن أي تغيير على عنصر معين فيها له تأثير على مجموعة العناصر الأخرى بها.

*انها التراكمية ، و ذلك راجعاً إلى أنها ذات طابع تراكمي تاريخي في الأساس .

* انها متطورة: من خلال عملية الانتقال و الانتشار ، مما يؤدي إلى ظهور أنساق جديدة و متطورة للثقافة.

* انها التنبؤية او تنبيئية، وذلك راجعاً إلى أنها تعمل على تحديد أسلوب، و سلوك الإنسان ، و بالتالي تمتلك القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يقوم به هذا الإنسان أو يصدر منه في المستقبل.

* انها التكاملية ، و ذلك يرجع إلى أنها لديها القدرة على القيام بإشباع حاجات الفرد المتعددة مما يترك راحة في نفسه ، و ذلك راجعاً إلى تميزها بأنها تجمع ما بين العناصر المادية إضافةً على العناصر المعنوية.

***انها** قابلة للانتشار و الانتقال ، و ذلك من خلال التعليم إضافةً إلى اللغة ، ووسائل الاتصال الحديثة. هذا إضافة إلى انتقالها من جيل إلى آخر، و من شخص إلى أخر و في مجتمع معين.

*انها المكتسبة ، و التي تتم عملية اكتسابها و تعلمها بطرق مقصودة أو غير مقصودة ، و ذلك عن طريق التفاعل مع الأفراد الآخرين .

*انها اجتماعية: إي لا تظهر و لا تتجسد إلا في وسط اجتماعي.

5- أقسام الثقافة:

يرى لينتون أن أقسام الثقافة هي:

-**العموميّات:** هي العناصر التي يشترك فيها أفراد المجتمع كلهم، وهي أساس الثقافة وتمثلُ الملامح العامة التي تتميز بها الشخصيّة العامة لكل مجتمع من المجتمعات مثل اللغة، والملبس،

والعادات، والتقاليد، والدين، والقيم .. .، وتُفيد هذه العموميّات في ربط أفراد المجتمع واتجاهاتهم وزيادة روح الجماعة والتماسك الاجتماعيّ بينهم .

و الثقافة تحاول الحفاظ على نفسها من التفكك والانحلال بفرض العموميات على أبنائها، وهذه العموميات هي التي تحافظ على استمرارية الثقافة.

-**الخصوصيّات:** تلك العناصر التي يشتركُ فيها مجموعة أو فئة معينة من أفراد المجتمع كالعناصر التي تتعلق بالمهارات الأساسيّة للمهنة مثلاً وترتبطُ الخصوصيات بالطبقة الاجتماعيّة، فالطبقة الأُرستقراطيّة أو البورجوازية في المجتمع الرأسمالي تختلفُ ثقافتها عن الطبقة المتوسطة فيه.

- **البدائل أو المتغيرات:** أو الاختيارات و هي العناصر التي تظهر حديثاً، وتُجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع، ويكون الخيار مفتوحاً أمام الإنسان في تبنيها أو تركها، كاختراع جهاز جديد أو كظهور شكل جديدة في اللباس، أو طريقة لإعداد الطعام لم تكن موجودة من قبل في المجتمع .

6-الثقافة و مفهومي الحضارة و المدنيّة :

نظرا لارتباط الثقافة و تداخلها مع مفاهيم قريبة من مدلولها، فان حسب المهتمين بالاتثروبولوجيا الثقافية خاصة نجد اتّجاهات توضح الحدود بين الثقافة و الحضارة و المدنية و هي :

الاتّجاه الأوّل: يرى أنّ معنى الثّقافة والحضارة واحدٌ، ولذلك استخدم مصطلح Civilisation للتّعبير عن كليهما معاً دون وجود فرق أو تمييز بينهما، ونجد هذا الاتجاه عند الفرنسيين الّذين تحدّثوا عن أنّ الثقافة والحضارة لا فرق بينهما، فهما المفهوم الكوني والشّامل لأمّةٍ واحدةٍ.

الاتّجاه الثّاني: يعتبر الحضارة هي فقط الجزء المادّي من الثّقافة.

الاتّجاه الثّالث: يعتبر أنّ الثّقافة هي جزء من الحضارة بشقّيها المادي والمعنوي، وهذا الاتّجاه الغالب في الغرب.

فإذا كانت الثقافة la culture هي مجموعة من المعارف، والفنون، والمعتقدات، والأفكار المتراكمة عبر حقب زمنيّة طويلة، كما أنّها مجموعة القيم الأخلاقية، والسلوكيّة، والمناهج التي تنظم فعل الفرد وإرادته في الفعل، كما تعتبر أسلوب حياة يميّز كل مجتمع بشري عن غيره من المجتمعات، وهي مخزون معرفي يتم تناقله من جيلٍ إلى آخر.

فان الحضارة la Civilisation تعرف على أنّها النتاج الإنساني الذي يعكس الصفات الفكريّة للشعوب، وطريقة العيش، ومظاهر تطورها الماديّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة .

أمّا المدنيّة فهي كلمة مأخوذة من المدينة على الأغلب. ويُقصد بمفهومها مظاهر التطور المادي الذي يطرأ على مكوّنات الحياة من الأبنية، والطرقات، والمصانع، والمدارس، والجامعات، و المرافق الخدماتية، والمستشفيات وغيرها. كما أنها تعبر عن وجود مجتمع يلتزم أفراده بقوانين الدولة، ويتصرّفون بناءً على اتصالهم بروح تلك القوانين، وشعورهم التلقائي بأهميّة الانتماء له في كل أفعالهم وظروف حياتهم.

و المدنية غير الحضارة، وهما لا يختلفان اختلاف نوع، وإنما يختلفان اختلاف مقدار. فالمدنية هي قمة الهرم الاجتماعي والحضارة قاعدته. .

فالمدنية هي جزء لا يتجزأ من الحضارة حيث تعتبر الجانب المادي للتقدم والحضارة والعمران، حيث نتجت من امتزاج الانجازات الإنسانية للجانبين المادي والمعنوي للحضارة، وهي التقدم في كفة المجالات الزراعة والصناعة للمجتمع، لذلك فإن المدنية جزء من الحضارة وهي تراكم للانجازات البشرية لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة . .

و إذا كانت الحضارة هي الآلية و المجهود الإنساني لتطويع الطبيعة و استغلالها بشكل أفضل، و كل ما له علاقة بالتقدم التكنولوجي. فان المدنية هي صورة أو إحدى درجات الحضارة، أو هي المواطن في صور سلوكية معينة، أو لنقل هي مجموع الصفات الرفيعة الفاضلة التي يستخدمها الإنسان كمواطن في تصرفاته و علاقاته مع الآخرين.

ومن الفروق الجوهرية بين الحضارة والثقافة:

*هي أن الحضارة تكون مرتبطة ببيئة ومكان معين وتكون ثابتة، بينما تكون الثقافة متغيرة ومتطورة عبر الأجيال.

*غالباً ما تكون الثقافة عامة وأكثر شمولية من مفهوم الحضارة، وهذا يرجع إلى أن الثقافة تكون واحدة لجميع الشعوب، أما الحضارة فهي غالباً ما ترتبط بشعبٍ واحد فقط.

* ترتبط الثقافة بما يحققه الفرد من انجازات في مجتمعه في حين ترتبط الحضارة بما يقدمه المجتمع من انجازات و التقدم والتطور الذي يحققه بين غيره من المجتمعات.

* الحضارة تضم الجانبين المادي و العلمي في المجتمع بينما الثقافة تكون نتاج فكر مجتمع ما سواء كان بسيطا أو متقدما أو متخلفا، لكن الحضارة لا ترتبط سوى بالمجتمعات المتقدمة والتي لها العديد من الانجازات سواء كانت علمية أو معنوية.

*تعتبر الثقافة هي الروح بينما الحضارة هي آلية العمل، لذلك نجد أن الثقافة غالبا ما تصف الأخلاق والروح بينما نجد الحضارة تتناول الجهود الإنسانية.

من : (HTTPS:// www.mlzamty.com/civilization-culture-civil)

نستنتج مما سبق أنّه لا يوجد إنسان بدون ثقافة و لا توجد ثقافة بدون إنسان. و لكل مجتمع ثقافة و ليس له حضارة بالضرورة.أي أن لكل حضارة ثقافة و ليس لكل ثقافة حضارة.